الجزيرة العربية في السياسة البريطانية

نجمي عبد المجيد

عُرفت بريطانيا كقوة بحرية واسعة النفوذ في عام ١٥٨٨م بعد تغلبها على الأسطول الإسباني (الأرمادا) وكانت المنافسة بينها وبين الدول الغربية للوصول إلى الجزيرة العربية تتصاعد.

ففي عام ١٥٩٤م، أسست شركة الهند الشرقية الهولندية واتخذت من بندر عباس مقرًا لها، وفي عام ١٦٦٤م أسست فرنسا الشركة الفرنسية في جزر الهند الشرقية، وكان أول اتصال لهم مع جزيرة العرب عندما وصلت سفينتان إلى ميناء عدن بقيادة دي ميرفيل ووصل إلى المخا في يناير ١٧٠٩م، وكانت بريطانيا قد وصلت إلى عدن في أول زيارة لها بتاريخ ٨ ـ ٤ ـ ١٦٠٩م بسفينة اسمها صعود بقيادة الكابتن شاربي، وقد حاولت فرنسا تهديد النفوذ البريطاني ما بين الهند والجزيرة العربية ودخلت معها في حرب استمرت سبع سنوات من عام ١٧٥٦م حتى ١٧٦٣م، وغادر الفرنسيون غرب الجزيرة العربية عام ١٧٦٢م، كما غادرها الهولنديون عام ١٧٦٥م وأصبح الأمر خالصًا لبريطانيا عام ١٧٧١م وسيطرت شركة الهند الشرقية البريطانية التي أسست عام ١٦٠٠م على تجارة الشرق وطرق المواصلات العالمية.

من تاريخ السياسة البريطانية في جزيرة العرب نقف أمام بعض المعلومات والوثائق التاريخية المعرفة مشروع بريطانيا في هذا الجزء من الشرق الأوسط، والسياسة البريطانية في هذه المساحة لم تقف عند رؤية الاستطلاع العسكري أو التجاوز من ساحل البحر إلى مناطق الانتماءات القبلية، بقدر ما كانت خططًا لرسم الحدود، ومشروع سيطرة يدخل في إطار المد البريطاني والذي أحدث في هذه المناطق نقلة من مرحلة دولة البداوى إلى عصر النفط، وكانت الإدارة البريطانية صاحبة الدور الأول في ذلك.

في عام ١٩١٣م وقعت بريطانيا بعد مفاوضات طويلة معاهدة صداقة مع الخلافة العثمانية وقد أمتنعت بريطانيا عن التدخل في شؤون مناطق حائل والأحساء وما جاورهما من أماكن، وقد ظلت الجزيرة العربية تابعة للدولة العثمانية من حيث الشكل، أما قبائل هذه المناطق فهي على الدوام شبه مستقلة في ما يخص شئونها وإن ظل النزاع في حالة مستمرة فيما بينها.

وقد ظلت بريطانيا تضع منطقة الخليج العربي في دائرة اهتمامها مكانة خاصة لقربها من الهند عدا ما يربط مصالحها التجارية والاقتصادية فيها، وكان أول اتصال لها بسلطان مسقط وعُمان والذي وقعت معه عام ١٧٩٨م معاهدة صداقة وتجارة، كما عقدت معاهدة عام ١٨٢٠م لهذا الهدف مع شيوخ أبوظبي، ودبي ورأس الخيمة وسائر المشيخات والتي عرفت في ذلك الوقت باسم (إمارات الساحل المتهادن) وبعد ذلك اتحدت في دولة (الإمارات العربية المتحدة) وكان ذلك بعد الاستقلال عام ١٩٧١م، وطلب شيخ البحرين الحماية من بريطانيا ورد الاعتداءات المحتملة من الجانب الإيراني والتركي عام ١٨٦١م، وقد فرضت الحكومة البريطانية حق حمايتها على منطقة عربستان في غربي إيران في بدايات القرن الماضي وكان ذلك بطلب من أمير المحمرة في تلك الحقبة الشيخ خزعل خان بن جا بر الكعبي (١٨٦٢ ـ ١٩٣٦م) والذي حكم المحمرة بعد اغتيال أخيه مزعل عام ١٨٩٨م غير أنّ عربستان ظلت تابعة لإيران اسميًا، وفي عام ١٩٠١م تحصل وليام دارسي وهو بريطاني على امتياز استخراج النفط في هذه المنطقة من الحكومة القاجارية، وفي عام ١٩٠٩م أسست شركة النفط الإنجليزية ـ الفارسية لاستغلال هذا الامتياز.

كانت الكويت تحت حكم آل صباح منذ عام ١٧٥٦م، وفي ظل الدولة العثمانية كانت قضاء تابعًا لولاية البصرة، وقد منح شيخها لقب (قائمقام القضاء) من قبل تلك الدولة مع حق الإنفراد بإدارة شئون البلد الداخلية، غير أنّ الشيخ مبارك (١٨٣٨ ـ ١٩١٥م) قتل أخويه محمد وجرّاح عام ١٨٩٥م ومسك بزمام السلطة، فما كان من الحكومة العثمانية؛ إلا السعي لمحاولة تأديبه فحرضت عليه ابن الرشيد أمير حائل، مما دفعه إلى طلب الحماية من بريطانيا حيث عقد معها معاهدة عام ١٨٩٨م، وفي عام ١٩١٦م عقد الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني، شيخ قطر، اتفاقًا مع الحكومة البريطانية، وبذلك أصبح النفوذ البريطاني على معظم مناطق الجزيرة العربية والتي تمس المصالح البريطانية شامل خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨م).

٢٠١
(مذكرة)
أعدت في وزارة الخارجية عن السياسة البريطانية في القضايا العربية
التاريخ : ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩٢٠م

من وثائق السياسة البريطانية في الجزيرة العربية نقدم بعضًا من فقرات هذه الوثيقة المهمة والتي تقدم رؤية بريطانيا في العمل السياسي نحو المنطقة العربية ومنها جزيرة العرب، كذلك نهدف إلى إعادة قراءة تاريخ هذه المنطقة من خلال التعرف على ما جاء في هذه الوثائق الكاشفة عن مفهوم السياسة في الإدارة البريطانية.

١) ـ يقصد بتعبير جزيرة العرب أو بلاد العرب، المنطقة المحدودة في الشمال الغربي بشبه جزيرة سيناء والمناطق التي تحت الانتداب البريطاني في فلسطين وشرقي الأردن، وفي الشمال الشرقي بمنطقة الانتداب البريطاني في العراق، وفي الشرق بالخليج الفارسي (العربي)، وفي الجنوب الشرقي بالمحيط الهندي، وفي الغرب بالبحر الأحمر، وتجدون وصفًا تفصيليًا أكثر بما يُعرف بأنّه شبه جزيرة العرب في الملحق (أ).

٢ ـ يتألف سكان جزيرة العرب بصورة كاملة تقريبًا من عناصر عشائرية عربية، متجمعة في بعض الأحوال في اتحادات كبيرة تعترف بسيادة شخص واحد.

وفيما يتعلق بالحجاز فهذا الشخص هو شريف مكة الذي اعترفت به دول الحلفاء ملكًا على الحجاز.

إنّ حدود الحجاز لم يسبق تحديدها قط، لكن الحجاز كدولة هي عضو أصلي في عصبة الأمم وما دام الأمر كذلك: فإنّه يقف على أساس مختلف جدًا من بقية شبه الجزيرة.

٣ ـ سوف يظهر من المراسلة في الملحق (ب) أنّ وزارة الهند ووزارة الخارجية متفقتان على أنّ جزيرة العرب، عدا الحجاز وعدن، يجب أن ينظر إليهما كأنّهما تقعان في عشرة أقسام فرعية رئيسة، وأنّ سياستها الحاضرة هي معاملة كل قسم فرعي منها بواسطة شخص واحد، باستثناء اثنين هما ساحل عُمان المهادن، وعشيرة عنزة اللذين لا يعترفان بحاكم واحد.

والأقسام العشرة هي كما يأتي :

نجد ابن سعود، حائل ابن رشيد، الكويت الشيخ سالم، البحرين شيخ البحرين، حضرموت سلطان الشحر والمكلا، اليمن الإمام يحيى، عسير السيد الإدريسي، عنزة ليس هناك حاكم واحد.

(يجب الملاحظة أنّ شيخ المحمرة الذي أوصى بإدخاله المفوض الملكي في بغداد ببرقيته المرقمة ١٥١٢٣ بتاريخ ١٥ كانون الأول / ديسمبر ١٩١٩م، هو من رعايا إيران وأنّ بلاده تقع في الأراضي الفارسية).

٤ ـ الملحق (أ) هو مسودة معاهدة تعالج تسوية قضايا شبه الجزيرة العربية.

وقد أعد هذه المسودة الوفد البريطاني إلى مؤتمر السلام في باريس بالتشاور مع وزارة الخارجية التي سبق لها أنّ استشارت عددًا من الخبراء في الشؤون العربية، وقدّمت صورًا من مسودة سابقة إلى وزارة الهند ومدير الاستخبارات العسكرية ووزارة البحرية (الأدميرالتي).

١٩٠٥م ظهر الاهتمام بجزيرة العرب، ولكنه تأخر بعض الوقت بفعل الحرب العالمية الأولى، وكانت بريطانيا قد حصلت على امتيازات نفط إيران والعراق، وقد توسعت الضغوط من دول أوروبا وأمريكا على بريطانيا لفتح المنطقة أمام شركات هذه الدول تطبيقًا لسياسة الباب المفتوح، مما دفع كل الأحمر (شركة الخليج الأمريكية عضو فيها)، لذلك حوّلت الامتياز إلى شركة (استاندارد أويل أوف كاليفورنيا) غير العضو فيها في ١٩٢٨/١٢/٢١م.

٦٩
(مذكرة)
عن السيطرة على الشرق الأوسط في المستقبل أعدها الميجر هيو برت يونغ في الجيش الهندي (المنتدب للعمل في الدائرة الشرقية والمصرية بوزارة الخارجية).

التاريخ : ١٧ / أيار / مايو ١٩٢٠م.
حددت نقاط هذه المذكرة على النحو الآتي :

١ ـ تعريف الشرق الأوسط.
٢ ـ العلاقات المقبلة لحكومة صاحب الجلالة مع أقطار الشرق الأوسط المختلفة.
٣ ـ المستشارون البريطانيون.
٤ ـ المالية.
٥ ـ نظام السيطرة الحاضر من لندن مع بدائل ممكنة في المستقبل.
٦ ـ سيطرة مركزية ممكنة من قبل وزراء الخارجية.

٥ ـ سوف يلاحظ أنّ حكومة صاحب الجلالة تحاول في المادة (٣) ضمان اعتراف الدول الحليفة الأخرى بمصالح بريطانيا العظمى السياسية الخاصة في شبه الجزيرة العربية، بالنظر إلى قربها من بعض أقسام الإمبراطورية البريطانية والمواصلات البحرية مع الهند.

لكن ليس هذا السبب الوحيد لرغبة حكومة صاحب الجلالة في الاعتراف بوضعها الخاص في جزيرة العرب. لقد كانت خلال سنوات طويلة ترتبط بصلات وثيقة مع شيخي الكويت والبحرين وسلطان مسقط وعُمان ورؤساء الساحل المهادن وابن سعود وسلطان الشحر والمكلا.. بل إلى درجة أنّ الدول الأخرى اعترفت بأنّ تدخلها في أراضي هؤلاء الحكام يعتبر عملاً غير ودي.

من الحكام الأربعة الباقين في الجدول في الفقرة (٣) تقع أراضي اثنين منهم، وهما الإمام والإدريسي، مجاورة لنهاية محمية عدن، بينما تقع أراضي الاثنين الآخرين، وهما ابن رشيد وعنزة، مجاورة للمناطق البريطانية المنتدب عليها في العراق وشرقي الأردن، والدولة الوحيدة الأخرى التي يمكنها أن تدعي بصورة شرعية بمصلحة لها في أي من المناطق العشر المذكورة في الفقرة (٣) هي فرنسا؛ لأنّ أقسامًا من عنزة تقع ضمن منطقة الانتداب الفرنسية، ولهذا السبب تقرر عدم القيام بمحاولة لمعاملة عنزة كاتحاد واحد تحت رئاسة حاكم واحد، بل اعتبار القسم الشرقي من العشيرة تابعًا للعراق.

وحجة أخرى للاعتراف بالمصالح البريطانية في جزيرة العرب، هي أنّ لحكومة صاحب الجلالة، في الوقت الحاضر، عَلاقات معاهدة مع جميع المناطق العشر باستثناء عنزة وابن رشيد والإمام.

الصراع الدولي على نفط الجزيرة العربية

عندما اكتشف النفط في إيران عام أطراف التنافس على نفط المنطقة الدخول في محادثات خلال الفترة من ١٩٢٤م حتى ١٩٢٨م ونتج عنها اتفاقية عُرفت باسم (الخط الأحمر) والتي قضت في اتفاقها بأن تمنع أي شركة عضو في تلك الاتفاقية من أن تستغل النفط لها وحدها في إطار المجال الجغرافي والذي أوضحته الاتفاقية وعُرف بالخط الأحمر، ودخلت الجزيرة العربية في الاتفاق وكانت الكويت الاستثناء من ذلك، وبفعل هذه الاتفاقية تحوّلت شركة نفط تركيا ـ بريطانيا وشركة نفط العراق بعد عام ١٩٢٩م إلى شركة ساهمت بها كل الأطراف على النحو الآتي :

١ ـ شركة الزيت الإنجليزية ـ الفارسية (ممثل المصالح البريطانية) ٢٣,٧٥٪ .
٢ ـ شركة شل (هولندية ـ بريطانية) ٢٣,٧٥٪ .
٣ ـ شركة النفط الفرنسية (المصالح الفرنسية) ٢٣,٧٥٪.
٤ ـ شركة التنمية في الشرق الأوسط (المصالح الأمريكية اتحاد شركات) ٢٣,٧٥٪.

(وحول هذا الموضوع يذكر الباحث عبد الجليل محمد حسين كامل في كتابه الجزيرة العربية والنظام العالمي الجديد) ما يلي :

"ارتبط النشاط النفطي في الجزيرة العربية بشخص اسمه فرانك هولمز الذي أسس مع مجموعة من المهتمين الشركة الشرقية العامة.

بدأ هولمز مفاتحة شيخ البحرين، الذي كان مهتمًا بالحصول على الماء العذب واشترط الحصول على الماء لمنح الامتياز الذي تمّ في ١٩٢٥/١٢/٢م، وكانت الشركة تعاني من مصاعب مالية لذلك فاتح هولمز شركة شل وشركة نفط فارس لشراء الامتياز، ولم تستجب تلك الشركتان للأسباب السابقة فاتحه هولمز للشركات الأمريكية واستطاع الحصول على موافقة شركة الخليج الأمريكية وحول لها حقوق الامتياز في ١٩٢٧/١١/٧م مقابل ٥٠,٠٠٠ دولار وقد عارضت بريطانيا بشدة نقل الامتياز مستندة إلى اتفاقية الخط

عائلة صيعرية خلال الرحيل

أول معاهدة لبريطانيا كانت مع سلطان مسقط وعُمان عام 1798م

عقدت بريطانيا معاهدة عام 1820م مع شيوخ أبوظبي ودبي ورأس الخيمة والمشيخات التي عُرفت باسم (إمارات الساحل المتهادن) واتحدت بعد ذلك في دولة الإمارات العربية المتحدة بعد الاستقلال عام 1971م

٧ ـ سيطرة مركزية ممكنة من قبل وزارة جديدة.
٨ ـ سيطرة مقسومة ممكنة من قبل وزارة الخارجية ووزارة جديدة أو من قبل وزارة الخارجية وإحدى الوزارات الحالية لحكومة صاحب الجلالة.
٩ ـ الاستنتاجات.

ومن بنود هذه المذكرة نختار هذه الفقرات :

(د) جزيرة العرب ـ ساحل الخليج الفارسي (العربي) ـ من قبل وزارة الهند بواسطة المقيم السياسي في الخليج الفارسي (العربي).

نجد وحائل : من قبل وزارة الهند بواسطة المفوض المدني في بغداد وتبحث القضايا السياسية في مؤتمر بين الوزارات لشؤون الشرق الأوسط.

هذه الفقرات توضح النظام السائد في ذلك الوقت للسيطرة من لندن على مناطق نفوذها في جزيرة العرب.

عدن وحضرموت :

من قبل وزارة الهند بواسطة حكومة الهند وحكومة بومباي والمقيم في عدن لشؤون الإدارة.

ومن قبل وزارة الحربية بواسطة القائد العام في عدن للإجراءات العسكرية في محمية عدن.

ومن قبل وزارة الخارجية بواسطة المندوب السامي في القاهرة والمقيم في عدن للقضايا السياسية.

اليمن وعسير : من قبل وزارة الخارجية بواسطة المندوب السامي في القاهرة والمقيم في عدن.

ويبحث في قضايا السياسة في مؤتمر بين الوزارات لشؤون الشرق الأوسط.

الحجاز : من قبل وزارة الخارجية بواسطة المندوب السامي في القاهرة والمعتمد البريطاني في جدة.

ويبحث في قضايا السياسة في مؤتمر بين الوزارات لشؤون الشرق الأوسط.

هذه الفقرات توضح النظام السائد في ذلك الوقت للسيطرة من لندن على مناطق نفوذها في جزيرة العرب.

× راجع كتاب : الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) صادر عن دار الساقي لندن خمسة مجلدات

عام 1861م طلب شيخ البحرين الحماية البريطانية لرد الاعتداءات المحتملة من جانب إيران

عدد من اتباع الشيخ في ابوظبي

منظر البراجيل (ابراج الهواء) على منزل يطل على خور دبي